



لن يكون مفاجئاً أن تنتقد إدارة الرئيس باراك أوباما، بدءاً موسكو تسلیم طهران صواريخ من طراز «س 300» في غضون أيام، على رغم لغط واسع واكب تأجيل هذه الخطوة مرات. هذه المرة يتزامن النبأ مع إعلان إيران إرسال لواء من قواتها الخاصة إلى سوريا، دافعاً عن نظام الرئيس بشار الأسد، ويستبق «اللواء» الجولة الجديدة من المفاوضات غير المباشرة في جنيف، بين النظام ومعارضيه.

وإذا افترضنا أن كل ما تشهده إدارة النزاع في سوريا وعليها، والمفاوضات التي يجرّدها النظام من أي هدف، يتعدى تشكيل «حكومة وحدة وطنية»... أن كل ذلك يدار بتنسيق كامل بين واشنطن وموسكو، فلا بد من التشكيك بمغزى تأكيد إيران على إرسال القوات الخاصة إلى سوريا، وبما يفترض بالتالي إطلاع الروس شريكهم الأميركي على هذا القرار.

فإذا «ابتلع» أوباما، كما ابتلع الكثير من آثار نكبة السوريين، منذ تفاصي عن استخدام النظام سلاحاً كيماوياً، يتحول الدور الإيراني في سوريا إلى واحدة من أدوات التفاهم الأميركي- الروسي.

هذه المرة، لن يمتعض البيت الأبيض من «فيلق القدس» و «أبو المستشارين» قاسم سليماني. فعناصر القوات الخاصة التابعة للجيش الإيراني، ستتندّذ مهمة محدّدة، هي إحياء مظلة الدفاع عن نظام الأسد، ما دام البحث في مصير الرئيس السوري مؤجلاً بتفاهم الروس والأميركيين، ولن يكون على طاولة التفاوض. والتفاهم ذاته الذي غضبت موسكو له «تسريب» خبره وتنصلّت منه ضمناً، عادت لتهكّه بعد أيام قليلة، ما حتم زيارة موفد الأمم المتحدة ستيفان دي ميستورا لروسيا.

وإذا كان بدبيهاً أن يفضل الرئيس فلاديمير بوتين عدم توريط جيشه في وحول الصراع، ولو أدى ذلك إلى إحياء دور عسكري

إيراني، فإن طهران ستجدد طمعها بدور الشريك الفاعل في رسم مستقبل النظام ومصير رأسه.

لعل المفارقة بين ما تذيعه واشنطن أو موسكو، وبين الواقع، تكشف مزيداً من الخيوط الخفية التي تجعل كل الآمال المعلقة على جنيف مجرد سراب. وقد يجدر الانتظار ليبرر وزير الخارجية الأميركي جون كيري ما حصل بين نهاية شباط (فبراير) الماضي ومطلع نيسان (أبريل) الجاري، إذا وجد ما يدفعه إلى التبرير.

لم تمض سوي خمسة أسابيع على تأكيد كيري للجنة الشؤون الخارجية في الكونغرس سحب «الحرس الثوري» الإيراني عناصره وضباطه من سوريا، حتى أعلنت طهران إرسال اللواء الذي ستدعمه وحدات أخرى عسكرية! فإما أن الوزير وقع ضحية كذبة، مصدرها موسكو أو طهران، وإما أنه قد شريكه الروسي سيرغي لافروف، ادعاء نتائج لإدارة الحرب على الأرض المنكوبة.

حتى ادعاء خفض «العمليات العدائية» قد لا يصمد طويلاً، وواضح أن التصعيد الميداني من قوات النظام وفصائل المعارضة، يستبق التعزيزات الإيرانية، فيما قوى المعارضة يائسة من جولة أخرى لمحاولات الغرف المغلقة في جنيف، وهي تسمع بوضوح تساقط أصوات في الغرب كانت تتعاطف معها.

ليس آخر المفارقات، اعتبار النظام تشكيل «حكومة وحدة وطنية» ترياقاً لآلام الذين فقدوا حوالي ثلاثة آلاف ضحية... أو اتهام «داعش» بتصف جيشه بغاز الخردل في دير الزور. وهذا ليس لأن التنظيم يأبى الفعلة، بل لأن النظام الذي استخدم الأسلحة الكيماوية ضد شعبه ما زال يوهم نفسه بأنه ضرورة حتمية للمحور الروسي- الإيراني، ويتمنى ضلعاً أميركياً للمحور.

ما يحصل في سوريا قبل العودة إلى جنيف، لا يمكن وصفه أو تبريره إلا بتحقيق جميع الشهداء الذين سقطوا خلال خمس سنوات من نكبة العصر. والكارثة أن يصرّ أوباما في نهاية عهده على تعويم نظام الأسد، مهما ادعت واشنطن العكس، وأن يصرّ بوتين على «انتصار» للكرمليين «بيار» الصراع في سوريا، باقتلاع المعارضة وفضائلها المعتمدة... كارثة أن تكتفي أوروبا بإغلاق أبوابها أمام اللاجئين، لتفادي تسلل انتحاريين، وتترك سوريا وشعبها لفصائل أخرى من الانتحار والجنون.

الحياة اللندنية

المصادر: